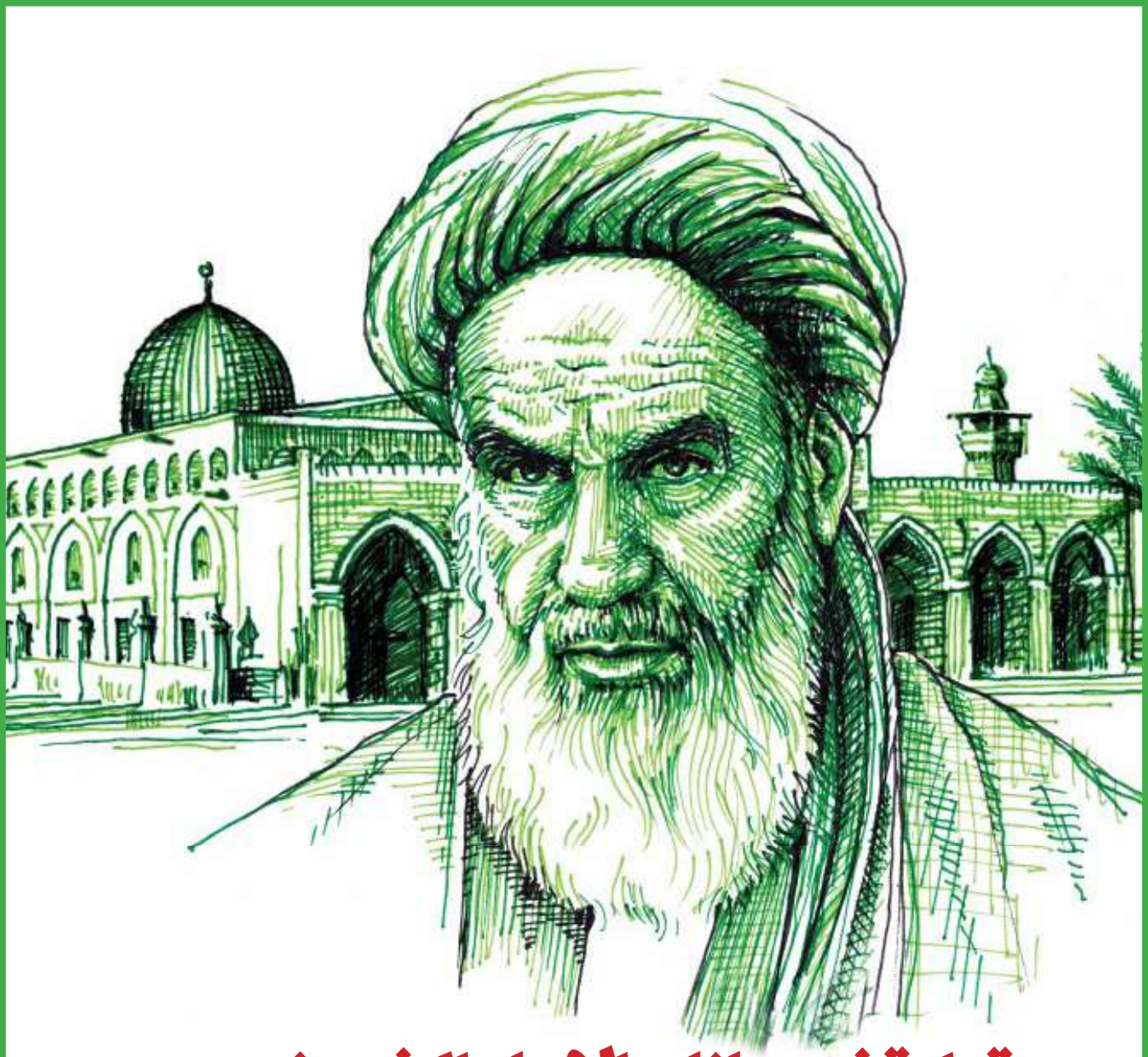

قراءة في بيانات الإمام الخميني (قدس سره الشريف)

النضالية حول دعم فلسطين

عند دراسة الأفكار السياسية لسماحة الإمام، نلاحظ انه لو كان موضوع تأسيس الحكومة الإسلامية هو الأولوية القصوى لسماحته في إيران، ففي خارج البلاد كان تحرير بيت المقدس والأراضي الفلسطينية، يشكل أهم هاجسه الفكري وعمله السياسي، ونلاحظ انه من أهم أسباب الخلافات الجوهرية بين الإمام والنظام البهلوي هو نفوذ الصهيونية في إيران اذ كان سماحته يعارض ذلك بشدة فيما كان يؤكد على ضرورة دعم الشعب الفلسطيني الأعزل، ويمكن اعتبار تحرير الشعب الإيراني والفلسطيني في أفكار الإمام الثورية والتحررية، ضرورة ملموسة وجوهرية وخير دليل على ذلك هو كتابات سماحته وكلماته وخطاباته التي القاها طيلة ايام وسنوات عمره الشريف، ولهذا كان دائما يدعو الشعب الإيراني والمسلمين والاحرار في العالم لدعم الشعب الفلسطيني.

من جهة اخرى تؤكد الوثائق التاريخية بان بداية نهضة الإمام الخميني قد تزامنت مع توجيهه النقد للشاه بسبب تقربه من إسرائيل، اذ فضح ما كان يجري بين هذين النظامين خلف الكواليس وماهي الحركات الخفية التي تجري هنا هناك من اجل تعزيز التقارب بينهما، و في الحقيقة انه منذ عام ١٩٦٢ وفي بيان شهير بمناسبة عيد نوروز أشار سماحة الإمام إلى المجازر التي ارتكبتها الحكومة بحق المسلمين وعلماء الدين، ومامدى الجهود التي تبذلها من اجل الحفاظ على مصالح أمريكا وإسرائيل. وبعد ذلك تطرق الإمام بجدية تامة الى هذا الامر في مختلف المناسبات داخل إيران وخارجها.

ان دراسة أفكار الإمام الخميني حول القضية الفلسطينية تبين بان أول موقف رسمي للإمام تزامن مع بدء النضال السياسي للإمام مع النظام البهلوي حول عدم موافقة النظام على العقوبات النفطية المفروضة على إسرائيل وعدم قطع علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل كما فعلت الدول العربية والإسلامية، إذ قال سماحته في إحدى المقابلات حول هذا الأمر:

(من القضايا التي تجعلنا نقف بوجه الشاه، هو مساعدته لإسرائيل، إنني قلت مراراً بان الشاه تعاون مع إسرائيل منذ الأول وعندما بلغت الحرب بينه وبين المسلمين إلى ذروتها، قام الشاه بالسيطرة على نفط المسلمين، ومنحه لإسرائيل وهذا الأمر يعد من أسباب معارضتي للشاه).

فضلاً عن هذا انتقد الإمام في بيان له بعام ١٩٦٢م سيطرة الصهاينة على المنشآت والمصادر الإيرانية تحت غطاء البهائية واعتبر تطوير العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل خطراً كبيراً على الإسلام واستقلال البلاد. ودعا الجميع إلى إبداء الاحتجاج على تحالف الشاه مع إسرائيل.

ومن أكثر المواقف السياسية للإمام حدة تجاه الشاه وإسرائيل هو كلمته التي القاها في المسجد الأعظم في مدينة قم بعد إطلاق سراحه، إذ حذر الإمام من تطوير العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع إسرائيل، واعتبره مضراً بالبلاد، كما وجه اللوم لحكومة إيران وتركيا بسبب الابتعاد عن البلدان الإسلامية.

كما تحدث الإمام عن خطر إسرائيل للمسلمين في إطار إصدار حكم شرعي، وأوصى الوعاظ بان يحذروا من خطر إسرائيل وعملائه واعتبر ان الصمت تجاه هذا الأمر هو مساعدة الظالم وأعداء الإسلام، من هنا أصبح موضوع مقارعة إسرائيل وأعداء الإسلام والمسلمين في مقدمة العمل الجهادي لسماحة الإمام.

وبعد ارتكاب المجزرة في مدرسة (الفيضية)، هدد الإمام الشاه وأوصاه بأخذ العبرة من أبيه، وذلك في محاضرة تاريخية ألقاها في المدرسة وجعل محاربة إسرائيل محوراً لنضاله وقال:(والله لا يأتي من إسرائيل إلا الضرر قالوا لي بان الأمن اخذ البعض وقالوا لهم لا تتحدثوا عن الشاه ولا عن إسرائيل ولا تقولوا بان الدين معرض للخطر، فلو لم نتحدث عن هذه القضايا فعن أي شيء نتحدث، فكل ما نعاني منه يأتي من هذه القضايا الثلاثة، وكل مشاكلنا منها، ما العلاقة بين الشاه وإسرائيل، فهل ان الشاه إسرائيلي).

كما خاطب قادة الدول الإسلامية والدول العربية وغير العربية وزعماء الدين والشعب الإيراني والجيش الإيراني في بيان له أصدره بمناسبة مرور أربعين يوماً على المجزرة التي وقعت في مدرسة (فيضية)، وقال انه يعلن عن استعداده للشهادة على يد عملاء إسرائيل، كما طالب بوحدة المسلمين لمواجهة إسرائيل، في بيان نشره في شهر محرم عام ١٩٦٤م بمناسبة ذكرى حادثة الخامس من حزيران من عام ١٩٦٣م.

بعد نفي الإمام وبالتزامن مع حرب الستة أيام (حرب رمضان عام ١٩٧٣م)، أصدر بياناً وذكر البلدان الإسلامية باقتلاع مادة الفساد في قلب العالم الإسلامي، وحرّم اقامة العلاقات السياسية والتجارية مع إسرائيل، وطالب بتعاون الدول الإسلامية معاً، كما حرم استعمال السلع الإسرائيلية على المسلمين. كما أرسل رسالة إلى رئيس الوزراء(هويدا) وانتقده وانتقد حكومته بسبب إبرامها تحالفات مع إسرائيل وتجريح مشاعر المسلمين وتمهيد الأرضية لهيمنة إسرائيل على اقتصاد إيران وحذره من مغبة هذه الأعمال.

وفي عام ١٩٦٨م ورداً على رسالة جمع من الفدائيين والشباب المناضلين الفلسطينيين أعلن وجوب محاربة إسرائيل، وأجاز الاستفادة من الزكاة لمساعدة المناضلين في مواجهتهم للخطر الإسرائيلي، كما أكد على هذا الأمر في حوار له مع مندوب حركة (فتح) وشدد على أهمية هذه القضية.

من جهة أخرى وفي جزء من خطابه بمناسبة الاحتفالات التي اقيمت في ايران بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة، على الحكم الملكي في ايران تساءل الامام عن سبب وجود خبراء إسرائيليين في الاحتفال،، ومن جهة أخرى قد نقلت ناقلة نفط إيرانية الطاقة للإسرائيليين الذين كانوا يحاربون المسلمين، ثم أشار في جزء من بيانه إلى مؤامرات الصهاينة لتوجيه الضربة للأحكام الإسلامية وتشويه الإسلام وتحريف القرآن الكريم.

وطوال الخمسينات وحتى تطورات الثورة الإسلامية، اصدر الإمام مختلف البيانات رداً على رسائل الشعب والطلاب والعلماء، وأعلن وجوب الجهاد على المسلمين لتحرير فلسطين ودعم التيارات المناضلة الفلسطينية، وبهذا قد أحيى هذه القضية عند المسلمين، وخاصة في حرب رمضان ١٩٧٣،عندما اصدر قائد الثورة الإسلامية بيانات للدول والشعوب الإسلامية داعياً الجميع إلى الجهاد الشامل ضد إسرائيل، وحذرهم من بيع النفط لإسرائيل، وبالتزامن مع هذا البيان اصدر الإمام بياناً حماسياً للشعب الإيراني، وأشار إلى احتفال ٢٥٠٠ سنة وتزامنه مع نضال الشعوب المسلمة والفلسطينية مع إسرائيل وانتقد ممارسات الشاه الداعمة لإسرائيل وبيع النفط الإيراني

لـه، وأمـر الشـعب الإيراني بالنضـال لمنـع تحقيـق مصالـح أمريـكا وإسـرائيل فـي إيـران. كمـا أمـر علمـاء الديـن والوعـاظ بالحديـث عـن جرائم إسـرائيل في المسـاجد والأوساط الدينية للشعب .

وفـي مطلـع شـهر شـباط مـن عـام ١٩٧٩م ألقـى سـماحة الإمـام خطابـاً فـي مطارمهـر آباد(طهـران) وفـي مقبـرة (جنة الزهراء) أشـار فيهمـا إلـى تبعيـة الشـاه لإسـرائيل وعبـر عـن أسـفه لنفـوذ أمريـكا وإسـرائيل فـي إيـران.

وبعـد انتصـار الثـورة الإسـلامية أصـدر سـماحة الإمـام بيانـاً اعتبـر السـلام بيـن مصـر وإسـرائيل خيانـة للإسـلام والمسـلمين والإخـوة العـرب، كمـا اشـتد دعمه لفلسـطين ولبنـان فـي مختلـف المناسـبات سـواء فـي اللقـاء بالشـعب والسـفراء والمناضليـن مـن فلسـطين بعـد الثـورة الإسـلامية، وقـد تجلت ذروة مناهضـة الصهيونية عنـد الإمام ودعمه للشـعب الفلسـطيني في تسـمية يوم القدس يومـاً عالميـاً لمحاربـة المسـتكبرين والظالمين والصهيونيـة، وفـي مبـادرة رمزيـة إطلـق علـى آخـر جمعـة مـن شـهر رمضـان يـوم القـدس وجـاء فـي رسـالته: (يـوم القـدس هـو يـوم عالمـي وليـس يـوم يختـص بالقـدس، يـوم مواجهـة المسـتضعفين مـع المسـتكبرين يـوم دعم الشـعوب حتـى تثور كل الشـعوب وترمـي هـذه الجرثومـة المسـببة للفسـاد فـي سـلة المهمـلات انـه يـوم علينـا ان نبـذل فيه مسـاعينا لإنقـاذ القـدس، ان يـوم القدس هو يوم الإسـلام إذ يجب إحياء الإسـلام لتطبيق قوانيـن الإسـلام فـي البلـدان الإسـلامية، ان يـوم القـدس ليـس يـوم فلسـطين فقـط، انه يـوم الإسـلام ويـوم الحكومـة الإسـلامية).

وبعـد بدء الحـرب المفروضة علـي ايران دافع الإمـام عـن فلسـطين ولبنـان فـي مواجهـة إسـرائيل، وأكـد علـى انـه بعـد القضـاء علـى صـدام سيسـرع إلـى تحريـر القـدس، كمـا أرسـل رسـالة بمناسـبة الحـج وأكـد علـى القضيـة الفلسـطينية وضـرورة دعمهـا فـي مواجهـة إسـرائيل، وعـدم الاعتـراف بالكيـان الصهيونـي.

وفـي يـوم القـدس العالمـي بعـام١٩٨٢ م نـدد سـماحة الإمام بالهجوم الإسـرائيلي على لبنـان وذلـك فـي بيـان لـه، كمـا نـدد ببعـض الـدول العربيـة وخاصـة الأردن والسـعودية والمغـرب الذيـن لـم يعارضوا إسـرائيل، ودعا إلـى محاربتـه بالسـلاح حتـى المـوت، ومـن مبـادرات الإمـام طـرح القضيـة الفلسـطينية في رسـالة الحـج والبراءة من المشـركين وحتى وفاتـه كان يؤكـد علـى هـذه القضيـة.

وأخيـراً تحدث سـماحة الإمام فـي وصيته عن فلسـطين وأبـدى مواقفـه حـول هـذه القضية علـى غـرار أول أيـام نضالـه بوجـه حكومـة الشـاه، واعتبر أمريكا والصهيونيـة الإرهابيين، وسـمى فكـرة إسـرائيل الكبـرى بالتوهـم الغبـي، وصـرح بـان الحـل الوحيـد للقضيـة الفلسـطينية هـو تدميـر إسـرائيل وتحريـر فلسـطين عبـر الجهـاد والنضال، ولـم يتراجع عـن هـذه القضيـة طيلـة نضالـه قبـل الثـورة وبعـد انتصارهـا.